البرتقال الحزين» و«رجال تحت الشمس». فهي البدايات الاولى التي تفتقت فيها تجربة الكاتب على رؤية الواقع الحقيقي لحياة الفلسطينيين، وأثّرت في جيل الروّاد للقصة الواقعية القصيرة في البحرين في فترة الستينات، حيث اعتبرت كتب كنفاني القصصية، في تلك المرحلة، جزءاً من التثقيف الادبي للفكر القومي، وتعرّف عليها الادباء الشباب يومذاك، مثلما كان الشيوعيون يبدأون بقصص جورج حنا ومكسيم غوركي، كقصص ثورية تلهب حماس الشبيبة، وتعيد صياغة فكرهم، عبر منظور الادب.

أمّا في قصة «منصور» للقاص محمد عبدالملك، فقد جعلنا نتألّم مع هذه الشخصية ونحبها في الوقت ذاته. فهي توقظ فينا جرحاً دفيناً. انها نموذج لمئات الشخصيات العربية الشعبية لفترة الاربعينات والخمسينات، التي حملت، بشعورها وضميرها القومي، ذكريات عزيزة في مقارعة الاستعمار. هذه الشخصية تعيش بداخلها صور مأساوية. فعلى الرغم من التصوير الخارجي للقاص، الذي كان مركّزاً على مظاهر الاضحاك والكاريكاتيرية، فالناس لا تعرف دخيلة منصور وماضيه الوطني. فقد أصبح حكاية منسيّة وتحوّل الى شيخ عجوز «يعمل فرّاشاً في الوزارة، يحمل الورق بين المكاتب»، ولكنه مسكون بماضيه وضميره الحي المتوقّد؛ لذا «جاء الى الوزارة في ٦ [حزيران] يونيو وهو يرتدي قبعة عسكرية وقدماه حافيتان، فأثار عواصف من الضحك والسخرية»(٣٢). وقد استلهم عبدالملك قصته من ذلك اليوم الذي «أعلنت فيه ساعة توقّف عن العمل تضامناً مع فلسطين»، فنرى عبر تلك الشخصية كيف يقف الراوية / المؤلف موجّهاً نقده الى الموقف العربي العام من القضية، مستخدماً «حكمة وجنون» منصور، الذي فقد الوظيفة، بسبب الاصرار على موقفه الشجاع والصدامي مع مدير الوزارة. وقد اختار الكاتب نبرة السخرية في رصد الظاهرة وسرده للاحداث. فبمجرد ما نتمعّن قليلاً في نسيج القصة وحواراتها نرثي لحالنا بدلاً من الضحك على منصور. «كنّا قبل سنوات نضحك من منصور؛ ثمّ علّمنا ان نفكر، فصرنا نضحك ونفكر؛ ثمّ علّمنا ان نحزن، فجمعنا ثلاثة أشياء في حياتنا؛ ثمّ أضاف، ذات يوم، كلمته الشهيرة: ' الحركة بركة ' » (ص ٩٥). وبهذا يؤكد الكاتب ان قوة الكوميديا تنبثق «من الاختيار التهكّمي للكلمات؛ من عرض سخافة الانسان في دناءته وازاء الصعوبات التي يواجهها»(٣٣).

وقد شاطر القاص عبدالقادر عقيل زميله محمد عبدالملك هذا النمط في المزج بين اللغة ونبرتها والشكل الدلالي للمحتوى بين «القسوة والفكاهة». كذلك نجدها في القصص آنفة الذكر، أو في غيرها من النتاجات القصصية الاخرى التي وردت في المجموعات الصادرة، سابقاً أو لاحقاً.

استنتاجات

في ما اقتطفنا من نصوص للكتاب البحرانيين، نجد ان القضية الفلسطينية احتلّت حيّزاً متفاوتاً في ذاكرة ووعي الكاتب. وقد تتّسع، أو تضيق، دائرة الاهتمام والطرح بين كاتب وآخر، الّا انها تظل، لدى الجميع، مسألة جوهرية تعذّب ضمائرهم وتهزّ كياناتهم بين فترة وأخرى، حسب مجريات الاحداث التي تحرّكها من القاع الى السطح الحياتي الواقعي، بعد ان تمكث كامنة في اللاشعور، تبحث عن ينبوع الانفجار والمولد الموضوعي والخارجي للحظة الابداع. وهذا، في الواقع، يحتاج الى ما يتجاوز الوعاء القصصي الى الوعاء الروائي. بهذا الحجم يكون قالبها ومحورها بطل قومي من النموذج المرغوب في الادب البحراني.

نخلص الى القول ان هناك تفاعلاً تاريخياً عميقاً بين الحركة الشعبية وثقافتها وفنونها وآدابها وتياراتها الدينية والقومية والوطنية في البحرين وبين القضية الفلسطينية والفلسطينيين قبل